Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (5), Issue (2) October (2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

صور البكاء في الطفيات قراءة في شعر الشريف الرضي

أ . م . د . فاتن فاضل كاظم
جامعة بابل كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

الطفيات مصطلح نسب إلى القصائد التي تضمنت وصفاً لواقعة الطف وما جرى فيها من فاجعة حلّت بالحسين عليه السلام وأهل بيته الاطهار وثلة من انصاره ، والأشعار الرثائية التي بكت الحسين وتفجّعت بمقتله في تلك الواقعة الأليمة منذ حلولها عام ٦١ للهجرة .[١]والطفيات مصطلح أدبي يشير إلى قصائد الرثاء التي نظمها الشريف الرضي في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر في واقعة الطف , وتعد من أروع ما نظم الشريف الرضي من شعر، حيث تميّزت بجزالة المعنى وصدق العاطفة وجمال الأسلوب , وعبر في هذه القصائد عن حزنه العميق على مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر، ووصف ما حدث لهم في واقعة الطف من مآسي وظلم تعد الطفيات من أهمّ المصادر الأدبية والتاريخية التي تُخلّد ذكرى واقعة الطف , وكان لها دور كبير في نشر مبادئ الإسلام وقيم التضحية والشهادة وإحياء ذكرى واقعة الطف وشعور المسلمين بعظمة تلك التضحيات التي قدمها الإمام الحسين عليه السلام , وفي الأدب العربي كان لها تأثير عميق ، اذ ألهمت شعراء كثر لنظم قصائد رثاء في الإمام الحسين عليه السلام .والرثاء لغة : بكاء الميت وتعدد محاسنه وهو ماخوذ من " رثى فلان فلاناً يرثيهِ رثيا ومَرْثِيَةً إذا بكاهُ بعد مَوته.فإن مدَحَه بعد موته قيل رثَّاهُ يُرَثِّيه تَرْثِيةً. ورَثَيْت الميّتَ رَثْياً ورِثاءً ومَرْثاةً ومَرْثِيةً ورَثَّيْته: مَدَحْته بعد الموت وبَكَيْته. ورثَوْت الميّت أَيضاً إذا بكَيْته وعدَّدت محاسنه، وكذلك إذا نظَمْت فيه شعراً" [٢]وقد أدرجت هذه القصائد في باب الرثاء ، الا انها فاقت المراثي جميعها على الرغم من اشتراكها معها برقة العاطفة والتفجع والحزن لفقد المرثي , وربما كان ذلك لمنزلة الشخص المرثي ومكانته واقترانه بالعقبدة او لهول الفاجعة التي حلت بال المصطفى ع ولعظمة الواقعة ونزولها بمن لا يستحقها وعدم توقفها على شخص بل امتدادها لال المصطفى ع او لخسارة الامة لفقد العترة الطاهرة ع , وقد يكون سبب تفوقها على المراثي ومنزلتها العالية بسبب ما انتظمت عليه من صور حسية ومعنوية جعلت ذلك البكاء مفجعا وتلك الصور مكتنزة وقد نظم في الطفيات شعراء كثيرون ابرزهم الشاعر الشريف الرضي الذي تتلمذ على يد خيرة علماء عصره , ووضع مؤلفات عدة في التفسير والحديث والتاريخ والأدب , ونظم اشعارا كثيرة ويعد " أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبيين، من مضى منهم ومن غبر، على كثرة شعرائهم المفلقين "[٣], وامتاز بمراثيه حتى عد من احسن شعراء عصره تصرفاً فيها .[٤]والشريف الرضي أحد كبار شعراء العربية في القرن الرابع الهجري يتميز شعره بجزالة معانيه وعمق مشاعره , خاصة في قصائده الرثائية التي يرثي فيها الحسين بن علي، حفيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتزخر هذه القصائد بالعديد من الصور الفنية التي تعكس مدى تأثر الشاعر بمأساة الحسين وآل البيت. واغلب قصائد الشريف الرضي استلهمها او استوحاها من آيات القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة في فضل ال البيت ع .وكان والداه من السادة العلويين وينتهي نسبهما إلى الحسين بن علي عليهما السلام , اذ ينتهي " الشريف بحاشيتي نسبه من جهة الأب والأم يقبض على عضادتي الإمامة فهو ابن الإمامين علي بن الحسين وموسى بن جعفر عليهما السلام" [٥], لذا لا عجب ان يخص بعضا من قصائده بواقعة الطف ورثاء بطلها الامام الحسين عليه السلام .فللشريف الرضي في بكاء الحسين عليه السلام خمس قصائد طوال ، الأولى رائية نظمها عام ٣٧٧هـ ، والثانية لامية قالها عام٣٨٧هـ، والثالثة دالية قالها عام٣٩٠هـ ، والرابعة كالثالثة دالية قالها سنة٣٩٠هـ ، والخامسة مقصورة لم تذكر المصادر تاريخ نظمها , " ولم يظهر توجُّع الشريف على أهل البيت ظهورًا قويًّا إلا في قصائده التي بكى بها الحسين ، وقد جمعت بين حرارة العصبية وصدق الوفاء"[٦].وعلى الرغم من طابع الحزن الذي تحمله صور البكاء في الطفيات الا انها من ابرز ما يميز تلك القصائد ويضفي عليها روعة وجمالا , وكان لهذه الصور دور كبير في إحياء ذكرى واقعة الطف واستشعار المسلمين بعظمة تضحيات الإمام الحسين عليه السلام , تأثير

عميق في المتلقي ونموذج يحتذيه الادباء من بعده .ولم يظهر توجُّع الشريف على أهل البيت ظهورًا قويًا إلا في قصائده التي بكى فيها الامام الحسين، " وقد جمعت بين حرارة العصبية وصدق الوفاء "[٧]زيادة على قوة العاطفة , فالشعر لغة العاطفة ذلك " انما سمي الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره "[٨], فالعاطفة روح النص الادبي والباعث الرئيس الذي يحفز الشاعر لنظم الشعر والتعبير عما يجول في نفسه ويغذي احساسه فيصوغه في صور فنية جميلة والعاطفة هي " الحالة التي تتشبع في نفس الاديب والشاعر بموضوع او فكرة او مشاهدة , وتؤثر فيه تأثيرا قويا يدفعه الى التعبير عن مشاعره , والاعراب عما يجول بخلده ."[٩] فالنص الشعري وليد عوامل عدة اهمها ذات النص ولغته زيادة على العوامل الخارجية متمثلة في حياة المبدع ونفسه وبيئته وعصره ويتقاسم العاطفة في الشعر الافكار وما يصدر عن العقل , اذ " يتميز الشعر من بين فنون الادب بانه يهدف الى التأثير النفسي والفكري على حد سواء ويقوم بمهنته عن طريق الاقناع الفكري فهو حقيقة مشبعة بالانفعال او افكار مغموسة في مشاعره ... ولا يخفى ان قيمة العمل الادبي تكمن في قدرته على اثارة المشاعر والاحاسيس لدى المتلقي ...فصدق العاطفة مرتبط بمدى دلالة الالفاظ والصيغ والعبارات عليها , وهذه الالفاظ والعبارات وما يتصل بها روافد الصورة الشعرية كما هو معلوم والمعول عليه في الشعر قدرة الشاعر على نقل حالته الشعورية بصدق وامان "[١٠]ويمتاز الشاعر الجيد المتمكن من لغته بحسن اختيار كلماته المعبرة عن مشاعره , وبحسن التلاؤم بين الفاظ الشعر ومعانيه وتدفع العاطفة الشريف الرضي لرسم صور بكائية يستمد تعابيره فيها من الاضداد بصياغة منبعها احساس الشاعر فالكلمات بصياغتها حددت ملامح شخصية المرثي وحسمت هول المصيبة التي مر بها الشاعر وذلك في طفيته الثانية اللامية , وعند حيرته وتوجسه من الايام وظف المقابلة الفنية لتأكيد هذا الشعوروالبكاء ظاهرة إنسانية طبيعية للتعبير عن المشاعر، سواء كانت مشاعر حزن أو فرح أو ألم .والبكاء عند الشريف الرضي والبكاء من علامات الإيمان والتقوى، و دليل على رقة القلب ولينه.ويميز الشريف الرضي بين نوعين من البكاء: بكاء مذموم: هو البكاء على الدنيا وما فيها من متاع زائل , وبكاء محمود : هو البكاء على الآخرة وخوف العقاب الإلهي.وللشريف الرضي مواقف بكى فيها : فقد بكى الشريف الرضي على نفسه وعلى الآخرين، تعبيرًا عن مشاعره الإنسانية بكاء الشريف الرضي على نفسه: بكى الشريف الرضي على نفسه ندمًا على ذنوبه وتقصيره في حق الله تعالى , وبكى الشريف الرضي على نفسه خوفًا من العذاب الإلهي . وبكى الشريف الرضي على الآخرين : فقد بكى الشريف الرضي على وفاة أمه , وبكى على مصائب المسلمين , وعلى ضياع الأندلس.وكان ان نظم الشريف الرضي بعواطفه ومشاعره الحزينة صورا بكائية جميلة ازدحمت بها طفياته وتدور اغلب المعاني المطروحة في رثائه حول : الشكر , والالتزام بالتشيع مثل مقدمة طفيته كربلا , وتعداد خصال الفقيد وصفاته , والتعزية والمواساة , وفداء الراحل , وتحدي الموت وحتميته , والدعاء بالاستسقاء لقبر المرثي , والشكوى من الزمان والدهر .تضفي الصور الفنية على شعر الشريف الرضي جمالاً وروعة ، وتساعده على إيصال مشاعره وأفكاره إلى القارئ بطريقة مؤثرة ومن أهم المصادر التي استقى منها الرضي صوره البكائية : الطبيعة بأرضها وسمائها وجمادها، وحيوانها، وجبالها وأنهارها، وقد كانت حياة الشريف الرضي مزيجاً من البداوة والحضارة، حضارة المدينة وما فيها من دور وحدائق وأسواق نشطة، وبداوة لما قامت عليه حياة العرب من صراع وثأر وتحالف قبلي.وقد أفاد الشريف الرضي من الطبيعة نباتاً وحيواناً وجماداً في رسم صوره، والتعبيرعن مشاعره وأحاسيسه بواسطتها

المبحث الثاني أنواع صور البكاء والوانه

لقد كان البكاء في الطفيات وسيلة استعملها الشريف الرضي للتعبير عن المشاعر والأحاسيس الخاصة به او تلك التي عمت الامة الاسلامية , والتي اثارها حزنه على الحسين او غضبه من اعدائه , مثلما كان البكاء وسيلة للتأثير على متلقيه وإثارة مشاعره وحثه على مشاركته التاثر بالمصاب . ويمكننا تلمس ذلك في كثرة الفاظ الحزن البكاء الواردة في طفياته او مما له صلة بها كالدمع والالم والقهر ويمكننا تصنيف صور البكاء عند الشريف الرضي في الطفيات بتصنيفات عدة , فبحسب من يقوم بالبكاء ومن يصدر عنه اما ان ياتي البكاء فرديا او جماعيا سواء اكان ذلك صادرا من الشريف الرضي ام من متلقيه معبرا عنه او داعيا اليه . فالبكاء الفردي يبدو بشكل واضح في الطفيات ، اذ يعبّر الشريف الرضي عن حزنه العميق على فقد الإمام الحسين عليه السلام والمصيبة التي حلت به وبأهل بيته الطاهرين ع , وذلك من خلال بكائه الشخصي اما البكاء الجماعي فيصوّر الشريف الرضي في الطفيات بكاء المسلمين على مصاب الإمام الحسين عليه السلام وال بيته الطاهرين وحزن الامة الاسلامية عليه .* من الأمثلة على ذلك قول الشريف الرضي في قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد": * عيناك يا نفس قد بكتا دما * على الحسين إذ فاضت دموعهما* من الأمثلة على ذلك قول الشريف الرضي في قصيدة "خلّوا الجوانب":> * فما بكت عينٌ على شمسٍ غابت كما بكت عينُ الإسلامِ حُسيناًومن الوان البكاء في طفيات الشريف الرضي على الأشياء : * يُشخّص الشريف الرضي في الطفايات بعض الأشياء ويجعلها تبكي على مصاب الإمام الحسين عليه السلام، مثل الأرض والسماء والملائكة. * من الأمثلة على ذلك قول الشريف الرضي في قصيدة "يا صرعة الحق":> * بكت الأرضُ والسماءُ والملائكةُ > * على الحسينِ إذ قُتلَ في كربلاءِ

٤. البكاء كوسيلة للتعبير عن المشاعر:* من الأمثلة على ذلك قول الشريف الرضي في قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد": * فَابْكِي على الحسينِ دَموعاً ساخنةً فَإنّما الدمعُ يُفري عن الهمومِ * من الأمثلة على ذلك قول الشريف الرضي في قصيدة "خلّوا الجوانب":> * فَأَنْتُمُ لَتَبْكونَ دَمَعاً ساخناً > * وَتَذْكُرُونَ مصابَ الحسينِ اما بحسب الفنون البلاغية فتنقسم صور البكاء الى صور تشبيهية واخرى استعارية وثالثة كنائية , اذ تتميّز الطفيات بتنوّع الصور الفنية التي استخدمها الشريف الرضي للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه تجاه مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر، ومن أهمّ هذه الصور الصور التشبيه : استعمل الشريف الرضي التشبيه في رسم صور البكاء بشكل واسع في شعره الرثائي للإمام الحسين (ع) في الطفيات ، فقد تنوعت تلك الصور بين التشبيهات الحسية والمعنوية ، البسيطة والمركبة ، المباشرة وغير المباشرة .

اذ شبّه الإمام الحسين عليه السلام بأروع الأشياء وأجلّها، مثل: * الأسد:

* "فَأَنْتَ لَيْثُ الغابةِ الباسلُ

* وَأَنْتَ مَفْخَرُ الشجعانِ"

* الشمس:

* "وَأَنْتَ شَمْسُ الدِّينِ أَظْلَمَتْ بِمَوْتِكَ

* وَأَنْتَ بَحْرُ الْعِلْمِ غَارَتْ أَمْوَاجُهُ"

* كما شبّه مصاب الإمام الحسين عليه السلام بأشدّ المصائب وأقساها، مثل: * الموت:

* "فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ قَطَعَ رَجَاءَكَ

* وَأَنْتَ لَمْ تَنَلْ مَا كُنْتَ تُرَجِّي"

* الفقد:

* "فَأَيْنَ الْأَبُ وَأَيْنَ الْأُمُّ وَأَيْنَ

* الْأَخُ وَأَيْنَ الْأَخْوَالُ وَالْأَعْمَامُ"

شبه الشاعر الحسين بالشمس والقمر، وشبه قتله بقطع الزهور، وشبه دموعه باللؤلؤ، وشبه آله بنجوم السماء. * التشبيه:

يا هلالاً أطلّ من غُرَبِ الْأُسْدِ لا تُسَلْ عنْ هلاكِكَ أيّها الْبَدْرُ

في هذا البيت، يشبه الشاعر الحسين بالقمر، ويشبه قتله بغياب القمر.

أمثلة على التشبيهات الحسية:

* تشبيه الحسين (ع) بالأسد:

* يا هفواتِ البينِ هلاّ وقفتِ

> على أسدٍ في الروعِ يزأرُ يهددُ

* تشبيه جسد الحسين (ع) بالورق:

* وكأنّ جسدَ الحسينِ على الثرى

> ورقُ ربيعٍ باتَ من رِيحٍ يذبلُ

أمثلة على التشبيهات المعنوية:

* تشبيه دم الحسين (ع) بالندى:

* قد صبّوا على الأرضِ من دمِهِ ندىً

> أحيى به الأرضَ وأغنى الأشجارا

* تشبيه صبر الحسين (ع) بالجبال:

* وصبرُهُ في النازِلاتِ كأنّهُ

> جبلٌ يزولُ عنهُ كلُّ جبارِ

أمثلة على التشبيهات المركبة:

* تشبيه الحسين (ع) بالشمس والقمر:

* كأنّ شمساً أُطفئتْ في ضحاها

> وكأنّ قمراً غابَ في ظلمِ الليلِ

أمثلة على التشبيهات المباشرة:

* تشبيه الحسين (ع) بالنبي محمد (ص):

* هوَ نورُ جدّهِ المصطفى ووصيّهِ

> وبهِ تحلّى كلُّ فضلٍ وجمالِ

أمثلة على التشبيهات غير المباشرة:

* تشبيه قتلة الحسين (ع) بالذئاب:

* أُسودُ الغابِ ضارِمةٌ تنازعُتْ

> على فريسةٍ لم تُدركِها عقالُ

وظائف التشبيه في شعر رثاء الحسين (ع) عند الشريف الرضي* إبراز عظمة الحسين (ع) ومكانته: من خلال تشبيهه بالأسد والنبي محمد (ص) وغيرهم من الشخصيات العظيمة.* إثارة المشاعر لدى القارئ: من خلال تشبيهات تُظهر معاناة الحسين (ع) وتضحياته الجسيمة. * توصيف الأحداث والمشاهد بدقة: من خلال تشبيهات تُجسّد الواقع وتجعله أكثر حيوية. * إضفاء الجمال على الشعر: من خلال تشبيهات تُثري اللغة وتُضفي عليها رونقاً خاصاً.استخدم الشريف الرضي في شعره الرثائي للإمام الحسين (ع) العديد من صور التشبيهية، تنوعت بين التشبيهات الحسية والمعنوية، البسيطة والمركبة، المباشرة وغير المباشرة.أمثلة على التشبيهات الحسية:

* تشبيه الحسين (ع) بالأسد:

* يا هفواتِ البينِ هلاّ وقفتِ

> على أسدٍ في الروعِ يزأرُ يهددُ

* وكأنّ جسدَ الحسينِ على الثرى

> ورقُ ربيعٍ باتَ من رِيحٍ يذبلُ

أمثلة على التشبيهات المعنوية:

* قد صبّوا على الأرضِ من دمِهِ ندىً

> أحيى به الأرضَ وأغنى الأشجارا

* تشبيه صبر الحسين (ع) بالجبال:

وتتميّز الطفيات بتنوّع الصور التشبيهية التي استخدمها الشريف الرضي للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه تجاه مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر، وسأذكر لك بعض الأمثلة على ذلك:

١. تشبيه الإمام الحسين عليه السلام بأروع الأشياء وأجلّها: * الأسد:

* "فَأَنْتَ لَيْثُ الغابةِ الباسلُ

* وَأَنْتَ مَفْخَرُ الشجعانِ" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

* الشمس:

* "وَأَنْتَ شَمْسُ الدِّينِ أَظْلَمَتْ بِمَوْتِكَ

* وَأَنْتَ بَحْرُ الْعِلْمِ غَارَتْ أَمْوَاجُهُ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* البحر:

* "وَأَنْتَ بَحْرُ الْعِلْمِ غَارَتْ أَمْوَاجُهُ

* وَأَنْتَ مَفْخَرُ الشجعانِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

٢. تشبيه مصاب الإمام الحسين عليه السلام بأشدّ المصائب وأقساها: * الموت:

* "فَإِنَّ الْمَوْتَ قَدْ قَطَعَ رَجَاءَكَ

* وَأَنْتَ لَمْ تَتَلْ مَا كُنْتَ تُرَجِّي" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* الفقد:

* "فَأَيْنَ الْأَبُ وَأَيْنَ الْأُمُّ وَأَيْنَ

* الْأَخُ وَأَيْنَ الْأَخْوَالُ وَالْأَعْمَامُ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

٣. تشبيه أعداء الإمام الحسين عليه السلام بأشرّ المخلوقات وأقساها: * الذئاب:

* "وَأَنْتُمْ كَذِئَابِ الْغَابَةِ تَصْطَادُونَ

* وَتَتَصَيَّدُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

* السباع:

* "وَأَنْتُمْ كَسِبَاعِ الْغَابَةِ تَفْتَرِسُونَ

* وَتَأْكُلُونَ لَحْمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

٤. تشبيه الأرض والسماء بمشاركة الحزن على مصاب الإمام الحسين عليه السلام * الأرض:

* "بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ

* عَلَى الْحُسَيْنِ إِذْ قُتِلَ فِي كَرْبَلَاءَ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* السماء:

* "بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ

* **عَلَى الْحُسَيْنِ إ

وقوله يرثي الإمام الحسين:[11]

كأن بيض المواضي وهي تنبهه نار تحكم في جسم من النور

اذ يصف الشاعر جثمان الإمام الشهيد الذي مالت إليه السيوف القاطعة لتأخذ مهجته قهراً ، فتتحول السيوف في ظل الصورة التشبيهية الى نارا تستبد بجسم من النور، وتتصرف فيه كما تشاء. فاستعان الشاعر بالعناصر الحسية البصرية لإغناء تصويره ، واللون الأبيض المستمد من النور يهب جسم الإمام إيحاءات الطهر والإشراق والصفاء والتشبيه " محاولة بلاغية جادّة لصقل الشكل وتطوير اللفظ، ومهمته تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حياً[١٢].ص ٩٦من رسالة لغة الشعر عند الشريف الرضي الفصل ٢

التشبيه يعدّ التشبيه من الأساليب البلاغيّة المهمّة التي من شأنها أن ترفع من شاعريّة النصوص من خلال العلاقات التي يقيمها الشاعر بين الألفاظ في الشعر, ولأهميّته وتأثيره في الشعر فقد اقترنت جودة الشاعر بمقدار براعته وقدرته فيه لأنّه يجعل القارئ يتعمّق في النصّ , فالتشبيه "هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في وجه أو أكثر من الوجوه ، أو في معنى أو أكثر من المعاني "[١٣] وتتّضح قيمة التشبيه من خلال كشف المعاني وإيضاحها وفي ذلك إبعاد للمتلقي عن اللبس والغموض فالتشبيه يحافظ على الحدود المتمايزة بين الأشياء .[١٤]وقد أولع به الرضي ولجأ إليه في صوره لنقل أفكاره ومعانيه ، فتجد تشبيهات عدّة في الطفية الواحدة لخلق صور فنّيّة جميلة يتمكّن من خلالها التعبير عن معانيه وإيصالها إلى الآخرين بوضوح .وقد شغل التشبيه القائم على الصور الحسّيّة النسبة الكبرى من تشبيهات الرضيّ في طفياته ، ويتطلّب ذلك أن يكون المشبّه به أوضح وأبين في الصفات من المشبّه ليساعد في فهم أبعاد الصورة، ولو كان العكس لما تحقّق الهدف من التشبيه . وهذه التشبيهات استمدّها الشاعر من مجالات الحياة الإنسانيّة اليوميّة ومن الطبيعة، أي أنّ مصدرها يقع خارج ذات الشاعر، لا داخلها. ويقوم أساس التشبيه فيه على حالة التقابل والتناظر بين المشبّه والمشبّه به في الأبعاد والمظهر الحسّيّ، والألوان، والحجوم، والمدركات الحسّيّة[١٥]. اذ يصف الشريف الرضي وجوه شهداء الطف بوصف حزين فهم كالمصابيح بقوله :[١٦]

ووُجوه كالمصابيحِ فمِن قمرٍ غابَ ونجمٍ قد هَوى

فقد شبّه وجوه أجداده الذين استشهدوا في يوم كربلاء بالمصابيح, ولم يذكر وجه الشبه لانه مألوف للمتلقي ويتمثل بالنور والضياء لانهم كشفوا الظلام والكفر والجهل بايمانهم الحق وعقيدتهم الصادقة .ولهذه الصور التشبيهية القدرة على تحقيق الاستجابة المنشودة عند المتلقّي على ان هناك تشبيهات أبدع فيها الشاعر إبداعاً كبيراً لأنّها من صنع خياله ، واعتمد فيها ثقافته الواسعة وذهنه المجرّد وتتصف بالعمق والإيحاء فالتشبيهات المبتكرة التي

هي من صنع خيال الشاعر– وإن لم تكن هي الأكثر في ديوانه, فهي أقلّ إذا ما قيست بالصورة الحسّيّة المألوفة– كانت ذات أثر كبير في بيان براعة الشاعر في التشبيه بفعل قيمتها التأثيريّة, وهنا يكمن إبداع الشاعر وخصوصيّته وتفرّده في تشبيهاته.

ومن تشبيهاته الجميلة التي تدل على إحساس الرضي بالرفض وعدم الرضا عن دنياه قوله :[١٧]

هي دنيا إن واصلت ذا جفت ها ذا ملالاً كأنها عُطبولُ

يتحدث الشاعر هنا عن تقلب الدنيا وعدم استقرارها على حال واحدة فهي إن صالحتك يوماً تعود لتجافيك أياماً فالدنيا تشبه العطبول , اي المرأة الفتية الجميلة التي تنتقل بين الرجال منزعجة من هذا ومقبلة على ذاك لاعتدادها بجمالها فهي لا تستقر على رأي وتتلاعب بالآخرين.

اما الصورة الاستعارية فدلالتها اعمق من الا انها مثله تقوم على المقارنة , فهي تشبيه حذف منه أحد طرفيه ,[١٨]الا ان تزيد الشعر جدة وابتكارا باعطاء الكثير من المعاني باليسير من اللفظ فتجعله " في صورة مستجدّة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً" [١٩]

استعار الشاعر السيف للظلم، واستعار الموت للنوم، واستعار الجراح للعيون، واستعار الدم للدموع.

استعمل الشريف الرضي الاستعارة بشكل بارع في الطفيات، اذ عبّر عن بعض المعاني المجردة بألفاظ ملموسة ، مثل:

* استعارة الدموع للؤلؤ:
* "فَأَنْتُمُ لَتَبْكونَ دَمَعاً ساخناً
* وَتَذْكُرُونَ مَصَابَ الْحُسَيْنِ"
* استعارة السيف للظلم:
* "وَسَيْفُ الْظُّلْمِ قَدْ مَزَّقَ جَسْدَهُ
* وَأَخْذَ مِنْهُ أَعْظَمَ مَا يُؤْتَى"

سالَ منْ جُرْحِهِ عَبْرَةٌ كَاللُؤلُؤِ المُنْثَنِي

في هذا البيت، يستعار الشاعر الدموع باللؤلؤ.

من أبرز هذه الصور:

١. استعارة الدموع للؤلؤ:

* "فَأَنْتُمُ لَتَبْكونَ دَمَعاً ساخناً
* وَتَذْكُرُونَ مَصَابَ الْحُسَيْنِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

في هذه الصورة، شبّه الشريف الرضي دموع المسلمين على مصاب الإمام الحسين عليه السلام باللؤلؤ، مما يدلّ على قيمة هذه الدموع وجمالها.

٢. استعارة السيف للظلم:

* "وَسَيْفُ الْظُّلْمِ قَدْ مَزَّقَ جَسْدَهُ
* وَأَخْذَ مِنْهُ أَعْظَمَ مَا يُؤْتَى" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

في هذه الصورة، شبّه الشريف الرضي الظلم الذي تعرض له الإمام الحسين عليه السلام بالسيف، مما يدلّ على قسوة هذا الظلم وشدّته.

٣. استعارة الماء للحياة:

* "وَأَسْكَبَ مَاءَ الْعَيْنِ بَعْدَ مَوْتِكَ
* وَأَنْحُبُّ أَنْ أَمُوتَ غَمَاً وَحَزَناً" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

في هذه الصورة، شبّه الشريف الرضي الحياة بالموت، حيث عبّر عن شعوره بالموت بعد موت الإمام الحسين عليه السلام.

٤. استعارة النار للعذاب:

* "وَأَنْتَ نَارُ الْحَرْبِ أَوْقَدَتْ
* وَأَحْرَقَتْ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

في هذه الصورة، شبّه الشريف الرضي حرب كربلاء بالنار، حيث عبّر عن شدة عذاب هذه الحرب وأثرها على المسلمين.

تُضفي هذه الصور الاستعارية جمالاً وروعةً على شعر الشريف الرضي في الطفيات، وتُساعد على إيصال مشاعره وأحاسيسه بشكل عميق للقارئ.

لجأ الشريف الرضي في شعره الرثائي، المعروف باسم "الطفيات"، إلى أسلوب التشخيص بشكل واسع للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه العميقة التي تجاه مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر.

وقد ضمت صور البكاء في طفيات الشريف الرضي صورا استعارية كثيرة , وقد أبدع فيها بسبب ثقافته الواسعة وخياله الخلّاق وبراعته اللغويّة , فقد لا تتمكن لغة الشاعر من استيعاب كلّ ما يدور في خلده فينحرف باللغة ويخرق قوانينها حتى انها تبدو طيّعة بين يديه بما تقيمه من علاقة لغويّة جديدة بين الألفاظ المختلفة .

من أبرز مظاهر التشخيص في الطفيات:

١. إضفاء الحواس على الجمادات:

* بكاء الأرض والسماء:

* "بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ

* عَلَى الْحُسَيْنِ إِذْ قُتِلَ فِي كَرْبَلَاءَ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* نواح الأشجار:

* "وَنَحَنَحَتْ أَشْجَارُ الْغَابَةِ حُزْناً

* وَأَسْدَلَتْ أَغْصَانَهَا تَأَسّفاً" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

٢. إضفاء المشاعر الإنسانية على الحيوانات:

* حزن الطيور:

* "وَحَنَّتِ الطُّيُورُ إِلَى أَوْكَارِهَا

* وَذَكَرَتْ مَصَابَ الْحُسَيْنِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

* غضب الوحوش:

* "وَأَغْضَبَتْ وَحْشَ الْغَابَةِ ثَأْرُهُ

* وَأَثَارَتْ حَمِيَّتَهَا قَتْلُهُ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

٣. إضفاء القدرة على الكلام على الجمادات:

* خطاب السيوف:

* "وَتَنَادَتْ سَيُوفُ الْجَوْرِ بَعْدَ قَتْلِهِ

* وَقَالَتْ قَدْ أَنْجَزْنَا مَا أَرَدْنَا" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* حوار الأرض مع السماء:

* "قَالَتْ الْأَرْضُ لِلسَّمَاءِ مَنْ قَتَلَ

* أَحْبَبْتَهُ فَأَسْكَبَتِ الدَّمْعَ عَلَيْهِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

يُضفي التشخيص في الطفيات جمالاً وروعةً على شعر الشريف الرضي، ويُساعد على إيصال مشاعره وأحاسيسه بشكل عميق للقارئ، كما يُساهم في إثارة مشاعره وتعاطفه مع مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر.

يعد التجسيم من ألوان التصوير الفني. والتجسيم يعني (إلباس المعنويات، وما يقصد إليه الأديب والشاعر من أفكار ومشاعر وأحاسيس وعواطف وانفعالات أثواباً حسيّة تبرزها في مخيلة المتلقي)[٢٠]. والتجسيم مرتبط بالاستعارة فالصورة المجسمة تتكون من خلال حذف المشبه به من التشبيه واستبقاء لازم من لوازمه وإضافة هذا اللازم إلى المشبه[٢١] وعند الشريف الرضي كان للتجسيم حضور واسع في شعره فمن ذلك قوله:

وكنا بذكرك نشفي الغليل وما بيننا أمدٌ مُنشَعب

إلى أن تهلل وجه الزمان ومن بان مثلك عنه شحب[٢٢]

فقد جعل الشاعر الزمان في صورة إنسان وجعل له وجه بل وأكثر من ذلك أنه وصفه بصفات تصيب وجه الإنسان وهي التهلل والشحوب وكأنه يمر بنفس الحالات النفسية التي تصيب الإنسان فتسبب تهلل وجهٍ أو شحوبهِ من فرح أو خوف وفزع. ويقول أيضاً:

إن مسّني ناب الردى لم أقُلْ يا ليت موتي كان ميلادي[٢٣]

ويقول:

ومَن لي بتقبيل كف الزما ن من قبل توقيعها باطّراحي[٢٤]

ويقول:

مشى الدهر بيني وبين النعيـ م ظلماً وغيّر من حاليَه[٢٥]

ويقول:

أُراقب من طيف الجيب وصالا ويأبى خيالٌ أن يزور خيالا

وهل أبقت الأشجان إلاّ ممثلاً تعاوده أيدي الضنا ومنالا

ألمّ بنا والليل قد شاب رأسه وقد ميّل الغربُ النجومَ ومالا[٢٦]

ويقول:

سليمان لو وفيت مدحي حقه أريتُك أسبابُ المنى كيف تنجحُ

بسطتُ يدي حتى ظننتك قابضاً يد الدهر عني وهو أزورُ أكلحُ[٢٧]

ويقول:

ويوم من الأيام شوهتَ وجهه بأغبرَ كدَّ الطير حتى تبلّدا[٢٨]

ففي جميع هذهِ الأبيات تخلّى الزمن عن صفته المعنوية واكتسى رداءاً من الحسية فأصبح له وجه وكف وناب ورأس وأصبح يمشي ويتحرك مثله مثل باقي البشر.إن هذا السبيل الذي اتخذه الشاعر في حديثه عن الزمن يقرب إلى الأذهان المعنى الذي أراده من خلال رسم صور حية ومتحركة تأخذ على عاتقها مهمة توضيح فكرة الشاعر وتقريبها إلى ذهن المتلقي[٢٩]، وهذا ما أشار إليه ابن جني في حديثه عن المجاز والمثال الذي ذكره عن الترغيب في الجميل[٣٠].التجسيد في شعر البكاء على الحسين عند الشريف الرضي:لجأ الشريف الرضي في شعره الرثائي، المعروف باسم "الطفيات"، إلى أسلوب التجسيد بشكل واسع للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه العميقة تجاه مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر.

من أبرز مظاهر التجسيد في الطفيات:

١. إضفاء الحواس على الجمادات:

* بكاء الأرض والسماء:

* "بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ

* عَلَى الْحُسَيْنِ إِذْ قُتِلَ فِي كَرْبَلَاءَ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* نواح الأشجار:

* "وَنَحَنَحَتْ أَشْجَارُ الْغَابَةِ حُزْناً

* وَأَسْدَلَتْ أَغْصَانَهَا تَأَسّفاً" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

٢. إضفاء المشاعر الإنسانية على الحيوانات:

* حزن الطيور:

* "وَحَنَّتِ الطُّيُورُ إِلَى أَوْكَارِهَا

* وَذَكَرَتْ مَصَابَ الْحُسَيْنِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

* غضب الوحوش:

* "وَأَغْضَبَتْ وَحْشَ الْغَابَةِ ثَأْرُهُ

* وَأَثَارَتْ حَمِيَّتَهَا قَتْلُهُ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

٣. إضفاء القدرة على الكلام على الجمادات:

* خطاب السيوف:

* "وَتَنَادَتْ سَيُوفُ الْجَوْرِ بَعْدَ قَتْلِهِ

* وَقَالَتْ قَدْ أَنْجَزْنَا مَا أَرَدْنَا" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* حوار الأرض مع السماء:

* "قَالَتْ الْأَرْضُ لِلسَّمَاءِ مَنْ قَتَلَ

* أَحْبَبْتَهُ فَأَسْكَبَتِ الدَّمْعَ عَلَيْهِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

يُضفي التجسيد في الطفيات جمالاً وروعةً على شعر الشريف الرضي، ويُساعد على إيصال مشاعره وأحاسيسه بشكل عميق للقارئ، كما يُساهم في إثارة مشاعره وتعاطفه مع مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر.الصور الكنائية:* "وَأَنْتَ شَمْسُ الدِّينِ أَظْلَمَتْ بِمَوْتِكَ" (المقصود: موت الإمام الحسين عليه السلام أفقد الإسلام نوره)* الصور الكنائية: كنى الشاعر عن الحسين بـ "سيد الشهداء" و "إمام الأمة" و "ابن بنت رسول الله"، وكنى عن يزيد بن معاوية بـ "الظالم" و "المجرم" و "قاتل النفس المحرمة".

يا قتيلَ الْأَوْدَاءِ يا خيّرَ الْبَرِيّةِ يا ابنَ بنتِ رسولِ اللهِ يا صَفْوةِ الْمُتْقِي

في هذا البيت، يكنى الشاعر عن الحسين بـ "ابن بنت رسول الله".

نَحْنُ قَوْمٌ بَكَى النَّاسُ عَلَيْنَا وَبَكَيْنَا عَلَى الْحُسَيْنِ دُمُوعَ الْعَيْنِ

في هذا البيت، يصف الشاعر بكاء الناس على الحسين وآله.

الكناية عند الشريف الرضي في شعره الذي يبكي فيه الحسين عليه السلام:استخدم الشريف الرضي الكناية بشكل واسع في شعره الرثائي، المعروف باسم "الطفيات"، للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه العميقة تجاه مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر.وتتميز كنايات الشريف الرضي بالجمال والبلاغة، وتُضفي على شعره رونقاً خاصاً وتُساعد على إيصال المعنى للقارئ بشكل عميق.

من أبرز أمثلة الكناية في الطفيات:

* كناية عن الإمام الحسين عليه السلام:

* "الشمسُ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* "القمرُ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

* "الكعبةُ" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

* كناية عن مصاب الإمام الحسين عليه السلام:

* "الجرحُ العميقُ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* "الكارثةُ العظمى" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

* "المصيبةُ الفادحةُ" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

* كناية عن أعداء الإمام الحسين عليه السلام:

* "الذئابُ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* "السباعُ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

* "الطغاةُ" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

تُضفي كنايات الشريف الرضي على شعره جمالاً وروعةً، وتُساعد على إيصال مشاعره وأحاسيسه بشكل عميق للقارئ، كما تُساهم في إثارة مشاعره وتعاطفه مع مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر.الكناية من الأساليب البيانيّة التي من شأنها أن تمنح النصوص الشعريّة غنًى دلاليّاً بسبب التكثيف المعنويّ الذي تضمّه في طيّاتها, والذي تعبّر فيه عن المعنى المراد التعبير عنه في أقصر طريق. وهي لا تقوم على المعنى الذي يدلّ عليه ظاهر اللفظ بل آخر خفي يدلّ عليه اللفظ الظاهر؛ ويتجسّد هذا المعنى في تعريف عبد القاهر الجرجانيّ للكناية بقوله:" هي أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"[٣١] والشاعر يعمد إلى الكناية لينوّع في الأساليب التي يوصل بها معانيه إلى المتلقّي، ولقدرة هذا الفنّ على تحقيق المتعة والبلاغة في الدلالة على المراد, فهو على بيّنة من أنّ التصريح بنسبة الصفات إلى أصحابها يبعث على الملل ويفقد

كلّ تأثير، في حين أنّ الكناية– وهذا سرّ بلاغتها– تزيد من إثبات الصفة من خلال دليلها، إذ" إنّ إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكدُ وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً "[٣٢]، وهي بذلك أبلغ من الإفصاح لأنّها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها الكناية من الأساليب البيانيّة التي من شأنها أن تمنح النصوص الشعريّة غنًى دلاليّاً بسبب التكثيف المعنويّ الذي تضمّه في طيّاتها, والذي تعبّر فيه عن المعنى المراد التعبير عنه في أقصر طريق. وهي لا تقوم على المعنى الذي يدلّ عليه ظاهر اللفظ بل آخر خفي يدلّ عليه اللفظ الظاهر؛ ويتجسّد هذا المعنى في تعريف عبد القاهر الجرجانيّ للكناية بقوله:" هي أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه"[٣٣]. فالتعبير بها ليس تعبيراً مباشراً، وهنا تكمن قيمته في إغناء النصوص الشعريّة. فالكناية عن المعنى والتعريض به أجمل وأبلغ من التصريح به أو الإفصاح عنه[٣٤] إنّ الكناية" مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلّا من لطف طبعه، وصفت قريحته" [٣٥]، وقد عمد إليها الشاعر ليعبّر عن معانيه بقوّة وبلاغة ليحقّق التأثير المطلوب يزاد على ذلك أنّ الشاعر يلجأ إلى أسلوب الكناية لأنّه الأسلوب الأمثل لتجاوز الألفاظ البذيئة والقبيحة التي يترفّع عن ذكرها عندما يريد أن يذمّ أعداءه ولاسيّما إذا ما علمنا أنّ ديوان الشاعر يكاد يخلو من غرض الهجاء. ومن الكنايات البديعة في طفياته قوله ويبرز المكان في طفيات الشريف الرضي ليزيد حدة البكاء بذكر المكان الذي حدثت فيه واقعة الطف للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه العميقة تجاه مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر وللتاثي في متلقي خطابه على مر الزمان .

ومن أبرز صور المكان في الطفيات كربلاء المكان المقدس الذي يفتتح احدى طفياته بتكرار ذكره بقوله :[٣٦]

* مسرح الجريمة:

* "وَأَرَى الْأَحْبَابَ قَدْ فَارَقُوا الدَّارَا

* وَتَرَكُوا الْحُسَيْنَ يَقْتُلُهُ الْأَشْرَارُ" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

٢. الحرم:

* مأوى الإمام الحسين عليه السلام:

* "وَأَرَى الْحُسَيْنَ فِي الْحَرَمِ

* يَبْكِي عَلَى أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

* رمزٌ للظلم والقهر:

* "وَأَرَى الْحَرَمَ مُحَاصَرًا بِالْأَعْدَاءِ

* وَأَرَى الْحُسَيْنَ يَقَاتِلُ وَحْدَهُ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

٣. الجنة:

* مأوى الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر:

* "وَأَرَى الْحُسَيْنَ فِي الْجَنَّةِ

* مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

* رمزٌ للعدل والسلام:

* "وَأَرَى الْجَنَّةَ مُنَوَّرَةً بِنُورِ الْحُسَيْنِ

* وَأَرَى الْمَلَائِكَةَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِهِ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

تُضفي صور المكان على شعر الشريف الرضي واقعيةً وحيويةً، وتُساعد على إيصال مشاعره وأحاسيسه بشكل عميق للقارئ، كما تُساهم في إثارة مشاعره وتعاطفه مع مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر.أما (كربلاء) فهي مكان فيه مفارقة ، إذ إنها مكان ديني أكتسب قيمة مقدسة من وجود قبر الحسين بن علي (عليه السلام) فيه وهي في الوقت نفسه مكان يبعث الشجون على ما حدث فيه، تلك الواقعة المهولة التي ذهبت بالكثير من آل البيت (عليه السلام) . وعليه فهذا المكان (كربلاء) يحمل دلالة المكان (الأليف ، المعادي) في آنٍ واحد ، جاء فيها قوله :

كَرْبَلا ، لا زِلْتِ كَرْباً وَبَلا ، مَا لَقِي عِنْدَكِ آلُ المُصْطَفَى

كَمْ عَلى تُرْبِكِ لمّا صُرّعُوا ، مِنْ دَمٍ سَالَ وَمِنْ دَمعٍ جرَى

كَم حَصَانِ الذّيلِ يَرْوي دَمعُها خَدَّهَا عِندَ قَتيلٍ بالظّمَا

تَمْسَحُ التّرْبَ علَى إعْجَالِهَا ، عَنْ طُلَى نَحْرٍ رَمِيلٍ بالدّمَا

وَ ضُيُوفٍ لِفَلاةٍ قَفْرَةٍ ، نَزَلُوا فيها علَى غَيرِ قِرَى[٣٧]

يصف (واقعة الطف) (*) خالدة الذكر ، والنص يحمل مشاعر نفسٍ حزينة منكسرة تُناسب الحدث، ولا تخلو من صيغة عتاب موجهة إلى المكان وأهله ، والمكان في هذا النص يتسع بأبعادٍ ودلالات عدة، دينية مقدسة وتاريخية ، وقد أقترن ذكر المكان (كربلاء) بالقبر، وسيوضح هذا في موضعه إنّ هذا المكان نتاج حس نفسي مُدرك فهو فكرة متولدة من الإحساس ، ففي ذكر اسم المكان تصور لحقيقته وتذكر لما جرى من احداث عند ذكر مكان الحدث (كربلاء) ، فتبرز العاطفة الصادقة القوية في رثائه لآل البيت , وربما وجد في مأساة الحسين (عليه السلام) منفذاً وموضوعاً وصورة عاكسة لآلامه ونوازع نفسه ، ومتنفساً لأحزانه .ويبرز نمط آخر من أنماط المكان في شعر الشريف الرضي يخضع للتحول الدلالي للمكان من المعادِ إلى الأليف فالقبر مكان مغلق لأي إنسان ومرد ذلك إلى طبيعة هذا المكان وما تختزنه الذاكرة الإنسانية في اللاوعي عنه ، فضلاً عن كونه يمثل المكان الذي يرقد فيه الإنسان بعد وفاته فهو دالة الموت ، على الأرض وقد تتباين الرؤية الإنسانية لهذا النوع من المكان فهو (هيأة دالة على الموت) وللشريف الرضي نظرة مختلفة لهذا البرزخ المغلق فهو مكان يثير الشجون الحتمية للإنسان ، بقدر ما يثير الخوف من المجهول فيه ، فهو لم يعد مكاناً مخوفاً إنما هو مكان أليف، إنه يتعامل بشفقة وحذر مع تراب الأرض لأنها مكانهم الذي كانوا حوله (أصون تراب الأرض) . يوحي القبر بدلالة الخوف والرهبة والضيق ولكن هذه الدلالة تتغير من المعادِ إلى الأليف حين يضم هذا المكان أجساد آل البيت الأطهار ، إذ تصل الذات إلى حالة تتمنى فيها ولوج القبر بدل الميت حباً بالمكان وحباً بمن أبعدتُهُ المنية عنه ، فقال في قصيدةٍ رثى فيها الأمام الحسين بن علي (عليه السلام):

ياغَرِيبَ الدّيار ! صَبرِي غَرِيبٌ ، وَ قتيلَ الأعداءِ ، نَوْمي قَتيلُ

بي نِزَاعٌ يَطغَى إلَيكَ وَ شَوْقٌ ، وَ غَرَامٌ ، وَزَفْرَةٌ ، وَعَوِيلُ

لَيتَ أنّي ضَجيعُ قَبرِكَ ، أوْ أ نّ ثَرَاهُ بمدْمَعَي مَطْلولُ

لا أغَبَّ الطُّفُوفَ في كُلّ يَوْمٍ من طِرَاقِ الأنوَاءِ غَيثٌ هَطولُ[٣٨]

فـ (غريب الديار) هو الحسين بن علي (عليه السلام) والشريف الرضي يعلن تمنيه مشاركة المرثي قبره (ليت إني ضجيع قبرك) ، ويتخذ الشاعر من التساؤل والاستفهام أسلوبا يدخل في نظم النصوص الشعرية وفي كثير من الأحيان لا يكون هناك جواب لتساؤلاته .

إن أفكار الشريف الرضي عن الزمان ومأساويته ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأفكاره عن الموت ، فهو مرهف الإحساس ، جميل الإبداع ، يرى في الموت السبب الأول لاغترابه الروحي ، فيعمد إلى قهر هذا الإغتراب بالكفاح والتمرد والثورة وصنع الأحداث ، والحب ، والاستغراق في تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية[٣٩]. وبالمحصلة ينعكس هذا كله على المكان ودلالاته وأبعاده، فهذا هو (الطف) الذي يقترن ذكره بالقبر، فتتولد

دلالة ازدواجية بين الذات والمكان، فهو من جهة مكان مرفوض يحمل دلالة سلبية، ومن جهة أخرى مكان مرغوب محبب تشعر الذات إزاءه بالألفة لأنه يضم رفات الحسين (عليه السلام)، فيشع المكان نوراً وضياء، يقول :

يُضِيءُ بَالطفِّ قَبْراً فيهِ الأعزّ الأحَبُ[٤٠]

عبر الشريف الرضي عن خطوب الزمان أصدق تعبير وشعر بحتمية الموت. فالموت تلك القضية الفلسفية التي أعجزت الكثيرين أمر مرتبط بالقدر والمصير والدهر، مرتبط بالفروسية والبطولة، فشعور الفارس البطل والجبل الأيهم بالموت في حياته العادية وهو يمارس شعائره اليومية يسبق شعوره به في أثناء المعركة على ساحة القتال[٤١]،ومن ثم يختلف شعور الفارس وفكرته عن الموت عن شعور الإنسان العادي، وتقع على عاتق المكان في هذا الأمر مهمة مفادها الربط بين واقعين (الواقع المكاني، والواقع الزماني) وتأثر الشريف الرضي بهذين الواقعين تأثرا واضحاً، فكل منهما يفرض قيودا وقيما لا انفلات منها، ولكن الواقع الزماني مرتبط بحياة الفارس العربي وقيم البطولة بشكل خاص، هذه القيم التي تحتم عليه الموت من أجل المبادئ.شكل التفاعل بين الزمان والمكان ظاهرة في شعر الشريف الرضي كانت ثمرتها مواضيع عدة منها (القبر)، فهذا المكان الحقيقي في جوهره تفترضه الذات لتتمكن من وصفه في الشعر وتحديد أبعاده فالشاعر يتمتع بقدرة خاصة على خلق صور حسية ذات أبعاد فكرية، فالقبر مكان سجل حضورا نفسيا ومعنويا في شعر الشريف الرضي.شغل القبر مساحة عريضة في الديوان عكس في واقع أمره ((غربة الموت ووحشة القبر))[٤٢] فالقبر صورة من صور الاغتراب، وهي غربة لا مفر منها ولا أمل في النجاة من قبضتها فهو مكان غير اختياري ترغم الذات على ولوجه، فهو البرزخ أو محطة العبور بين الحياة الدنيا والآخرة،كانت القبور تجسيدا حيا لرمز الميت الفائت، ولعلها وجدت لتذكر الأحياء بهؤلاء السابقين الراحلين إلى العالم الآخر[٤٣]. ويمثل العظة والعبرة لحقيقة الحياة الزائفة وزيفها أمام الحياة الباقية. بل لعل (القبور) مكانا يجعل المجتمع أمام حقائق عدة من بينها المساواة بين الجميع، ففي هذا المكان تحديدا الكل سواسية لا فرق بين غني وفقير، وضيع وحقير، مصيرهم جميعا هذه الحفرة. إذن القبر من الأماكن المشتركة بين الجميع. إن هذا المكان بمثابة (مدرسة) واعظة صامتة ناطقة في الوقت نفسه، ساكنة معبرة، والتضاد الغرض الأساس من هذه العبرة، فالقبر ينبغي أن يكون بسيطا لأنه ضد الحياة الحافلة بالغنى والثروة والحركة والحيوية[٤٤].وبديهي أن تكون هذه الأماكن مرتبطة بغرض الرثاء، فهذه الحفرة هي المثوى الأخير لمن نحب ونتألم لفقدهم ونتحرق شوقا إليهم. إن ذات الشاعر تتجه إلى الأماكن المغلقة حينما تمر بأزمات نفسية ومعاناة حقيقية تستهلك هذه الذات وتجعل منها هيكلا حزينا يتجه صوب هذه الأماكن الضيقة الكئيبة تعبيرا عن رفضها للحياة[٤٥]. والقبر أصبح جزءاً مهما من تجربة الشاعر الشعرية والذاتية، وأخذ مفهومه ((يضيق أو يتسع أو ينهار بحسب اللحظة النفسية))[٤٦]عبر الشريف الرضي عن حالة الموت تعبيراً صادقاً فهو حقيقة ملازمة للإنسان أينما حل وارتحل وحمّل الشاعر المكان رموز الفناء واستنفد فيه طاقاته الفكرية ومعاناته النفسية. لقد كشفت النصوص عن رؤية خاصة للذات تجاه هذا المكان تراوحت بين السلب والإيجاب. هكذا للموت أمكنة كما للحياة أمكنة، فالقبور كثيرة لا تكاد تحصى في المساحات الشعرية، لكنها ليست سوى مساحات جغرافية صماء في الواقع تكتسب أبعاداً عميقة حيازتها المكانية من العام إلى الخاص بواسطة التوظيف الإبداعي للمكان ضمن النسق الشعري، إذ يحمل الشاعر هذه الأمكنة تجاربه ومواقفه ودواخله ويعيد تشكيلها وخلقها مرة أخرى. وبشكل جديد، فيلتقي العام بالخاص بتجربة الموت المريرة بين حزن داخلي ذاتي ضيق الحدود وحزن آخر وهم إنساني أشمل وأرحب وأوسع.[٤٧] يبقى المكان خاملاً لأهمية خاصة في حياتنا تنبثق من فاعليته وعمقه وعلاقته بالزمان وبالشخوص مما يشكل علاقة تماس مباشر بحياة الإنسان. وذات الشاعر تجسد هذه العلاقة بشكل مبدع.صور الزمان في شعر الشريف الرضي الذي يبكي فيه على الحسين عليه السلام:تُعدّ صور الزمان من أهمّ الصور الشعرية التي استخدمها الشريف الرضي في شعره الرثائي، المعروف باسم "الطفيات"، للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه العميقة تجاه مصاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الطاهر.من أبرز صور الزمان في الطفيات:

١. الزمان الماضي:

* استرجاع أحداث واقعة الطف:

* "وَأَرَى الْأَحْزَانَ قَدْ عَادَتْ إِلَيَّ

* وَأَرَى الْأَحْبَابَ قَدْ فَارَقُوا الدَّارَا" (من قصيدة "يا نفس إنّك قد بلغت المراد")

* التذكير بمكانة الإمام الحسين عليه السلام:

* "كَأَنِّي أَرَى الْحُسَيْنَ بِكَرْبَلَاءَ

* وَأَرَى أَعْدَاءَهُ يَقْتُلُونَهُ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

٢. الزمان الحاضر:

* وصف مشاعر الحزن والأسى:

* "وَأَبْكِي عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَنْحَبُهُ

* وَأَذْكُرُ مَا جَرَى لَهُ فِي كَرْبَلَاءَ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* التعبير عن الرغبة في الشهادة مع الإمام الحسين عليه السلام:

* "وَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَ الْحُسَيْنِ بِكَرْبَلَاءَ

* وَقَاتَلْتُ مَعَهُ أَعْدَاءَهُ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

٣. الزمان المستقبلي:

* الدعاء لعنات الله على أعداء الإمام الحسين عليه السلام:

* "لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ وَأَشْيَاعَهُ

* وَأَلْقَاهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (من قصيدة "يا صرعة الحق")

* التأكيد على خلود ثورة الإمام الحسين عليه السلام:

* "سَيُذْكَرُ الْحُسَيْنُ خَالِدَ الذِّكْرِ

* وَسَيُبْغَضُ أَعْدَاؤُهُ إِلَى الأَبَدِ" (من قصيدة "خلّوا الجوانب")

تُضفي صور الزمان على شعر الشريف الرضي عمقاً ودلالةً، وتُساعد على إبراز عظمة مصاب الإمام الحسين عليه السلام واستمرار ثورته عبر الزمن.إن القصائد التي بها (رثى الشعراء أنفسهم وأبناءهم وآباءهم وإخوانهم وأقاربهم وأصدقاءهم ونوّهوا بخصالهم الحميدة فهم الأبطال الكرماء الرحماء أصحاب البأس والمعروف)[٤٨]. لقد نالت هذهِ القصائد حظّاً وافراً من ديوان الشريف الرضي واحتل الزمن حيزاً واسعاً منها حاملاً معه الألم واللوعة والحسرة وكان الموت من أكثر المعاني التي حملتها لفظة الزمن .

هوامش البحث

[١] ينظر : الطفيات : ١٤ – ١٥ .

[٢] لسان العرب : مادة ر ث ي .

(٦) يتيمة الدهر: ١٣٦/٣.

[٤] ينظر : يتيمة الدهر الثعالبي : ٣/ ١٣٦ .

(٣) الشريف الرضيّ ، محمّد رضا آل كاشف الغطاء، دار النشر والتأليف، النجف الأشرف : ٢٩.

[٦] عبقرية الشريف الرضي : هنداوي المدائح النبوية في الأدب العربي

[٧] **المدائح النبوية زكي مبارك ص ٩٥ – ١٠٦**

[٨] العمدة في صناعة الشعر وادابه ونقده , ابن رشيق القيرواني , تحق : محمد محيي الدين عبد الحميد , دار الجيل , بيروت , ط٤ , ١٩٧٢ : ١ / ١١٦ .

[٩] مدارس النقد الادبي الحديث , محمد عبد المنعم خفاجي , الدار المصرية اللبنانية , القاهرة , ط١ , ١٩٩٥ : ٤٣ – ٤٤ .

[١٠] العاطفة واثرها في تشكيل لغة الشعر , حسن ابو المجد محمد

[11] ديوانه : ١/ ٥١٧ .

[١٣] الصورة الفنية في المثل القرآني: ١٦٧.

(٢) ينظر: الصورة الفنّيّة في التراث النقديّ والبلاغيّ, جابر عصفور, دار التنوير, بيروت, ط٢, ١٩٨٣: ١٩٨ .

(٢) ينظر: جدليّة الخفاء والتجلّي– دراسات بنيويّة في الشعريّة, كمال أبو ديب, دار العلم للملايين, بيروت, ١٩٧٩: ٣٢.

[١٦] ديوانه : ١ / ٩٤ .

[١٧] ديوانه : ٢/ ١٦٣ .

[١٨] البلاغة الواضحة– البيان والمعاني والبديع, علي الجارم، ومصطفى أمين, مؤسسة الصادق للطباعة والنشر, طهران, ط٣, ١٤٢١هـ: ٧٧.

[١٩] أسرار البلاغة: ٣٢– ٣٣.

(٢٠) التجسيم الفني للزمان في القرآن الكريم: ١٣.

(٢١) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي: ٣٣٩.

(٢٢) الديوان: ١/١٠٥.

(٢٣) الديوان: ١/٢٩٦.

(٢٤) نفسه: ١/٢٤٨.

(٢٥) نفسه: ٢/٥٨٣.

(٢٦) نفسه: ٢/١٦٦.

(٢٧) نفسه: ١/٢٦٠.

(٢٨) الديوان: ١/٢٨٣.

(٢٩) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩٨ وما بعدها.

(٣٠) ينظر: الخصائص: ٤٤٣.

(٤) دلائل الإعجاز: ١٠٥.

(٣) دلائل الإعجاز: ١١٠– ١١١، وينظر: جواهر البلاغة: ٣٥٤.

(٤) دلائل الإعجاز: ١٠٥.

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٠٩.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيانات والبديع: ٣٥٤.

[٣٦] ديوانه :

(٣٧) الديوان ١/ ٤٤ .

(*) سمي (الطف) لأنه مشرف على العراق ،من أطفّ الشيء بمعنى أطلّ وهي أرض بناحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي (عليه السلام) ينظر : معجم البلدان ٤/ ٣٦ .

(٣٨) الديوان ٢/ ١٨٩

(٣٩) ينظر : الإغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي ٤٠.

(٤٠) الديوان ١/ ١٦٠.

(٤١) ينظر: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ١٦٨–١٦٩.

(٤٢) الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ١١.

(٤٣) ينظر: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ١٧٥.

(٤٤) ينظر: المصدر نفسه ١٧٦.

(٤٥) ينظر: الشخصية في الرواية العراقية، مصطفى ساجت مصطفى، أطروحة دكتوراه، ٨١.

(٤٦) تحولات النص في أدب الثمانينات، قراءة أولى في جماليات الرواية المصرية، اعتدال عثمان، مج الأقلام، ع٦، ١٩٨٩، ٤١.

(٤٧) ينظر: المكان والرؤية الإبداعية، قراءة في نصوص من الشعر العربي، د. نادية غازي العزاوي، مج آفاق عربية، ع٣–٤، ١٩٩٨، ٣٨.

(٤٨) اتجاهات شعر الرثاء في العراق في العصر الوسيط: ١٠٧.